

تطور مراحل التدوين في السيرة حتى العصر الحديث

The evolution of the stages of compilation
in the biography till the modern era**Dr. Muhammad Ismail***Assistant Professor, Arabic Department, NUML, Islamabad**Email: ismail.numl@gmail.com**ORCID: <https://orcid.org/0000-0002-2098-3599>***ملخص البحث:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ دراسة الهدي النبوي لها أهميتها لكل مسلم، فهي تُحقِّق عدَّة أهدافٍ، كما أن السيرة النبوية تُوضِّح للمسلم حياة الرسول ﷺ بدقائقها وتفصيلها منذ ولادته وحتى موته، مروراً بطفولته وشبابه ودعوته وجهاده وصبره وانتصاره على عدوِّه وتُظهر بوضوح: أنَّه كان زَوْجاً وأباً وقائداً ومحارباً وحاكماً وسياسياً ومُربيّاً وداعية وزاهداً وقاضياً وعلى هذا فكلُّ مسلم يجد بُغيته فيها.

إنَّ الأُمَّة تتعلَّم منها الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسموِّ الرُّوح، وطهارة القلب، وحبَّ الجهاد في سبيل الله، وطلب الشهادة في سبيله، ولهذا قال علي بن الحسن: "كنا نُعلِّم مغازي النبي كما نُعلِّم السورة من القرآن".

إنَّ السيرة النبوية تُعطي كلَّ جيل ما يفيد في مسيرة الحياة، وهي صالحة لكلِّ زمانٍ ومكان ومُصلحة كذلك. إنه من توفيق الله لي أن جعلني من المشتغلين بكتابه وسنة نبيه ﷺ وسيرته العطرة، وأقامني في ذلك، فله الحمد والمنة على ذلك حمداً كثيراً لا يحصى العدد، وكان من توفيقه كذلك سبحانه أن منَّ عليّ بكتابة هذا المقال في السيرة النبوية ﷺ، بعنوان: (تطور مراحل التدوين في السيرة حتى العصر الحديث).

إن هذا المقال يعالج قضية على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة في كتابة السيرة، وهي المنهج الذي اتبعه كل من المحدثين والمؤرخين في كتابة السيرة وتوثيق مرويَّاتها، وأهمية هذه القضية تنبع من شيئين: الكشف عن سبب الاختلاف بين المنهجين وآثار هذا الاختلاف ومظاهره. والآخر: وُضْع قواعد وأسس يسترشد بها في كتابة السيرة في هذا العصر. والدراسة تكون على النحو التالي:

التمهيد: وأعرف فيه بالسيرة والمصطلحات التي أطلقت عليها قديماً كالمغازي والسير، ولماذا كان لفظ

مصطلح المغازي أول ما أطلق على السيرة، كما عالج العلاقة بين السيرة والحديث والسيرة والتاريخ، كما بينت أهمية دراسة السيرة النبوية وخاصة في عصرنا الحديث الذي ازداد فيه الاهتمام بالإسلام ورسوله وسنته وسيرته زيادة واضحة.

عاجلت فيه تطور مراحل التدوين في السيرة حتى العصر الحديث ومهدت فيه بتمهيد عن اهتمام الصحابة والتابعين بالسيرة النبوية ومظاهر هذا الاهتمام، ثم جاء **المبحث الأول** وذكرت فيه بداية التدوين في السيرة ثم جاء **المبحث الثاني** فذكرت فيه مرحلة تدوين المحدثين للسيرة، أما **المبحث الثالث** فذكرت فيه مرحلة المؤرخين المتخصصين في كتابة السيرة وخصصت **المبحث الرابع** بمرحلة القرن الخامس، والتي كان من أبرز سماتها مرحلة الجمع والاختيار مع الالتزام بالإسناد. وكان من أبرز المصنفين في هذه المرحلة البيهقي حتى ذهبت إلى أنه علامة فارقة في كتابة السيرة، بحيث كان له تأثير كبير على من جاء بعده من الكاتبين في السيرة وخاصة الموسوعيين منهم، ولذا جاء **المبحث الخامس** بعنوان: مرحلة التأليف الموسوعي في السيرة، وقد برز فيها اتجاهان: اتجاه التنقيح والتمحيص، واتجاه التوسع في الجمع والحشد والتصنيف تحت عناوين دالة. ثم جاء **المبحث السادس** وهو **المبحث الأخير** تحت عنوان: الكتابة في السيرة في العصر الحديث واستخلصت السمات العامة لكتب السيرة في هذا العصر.

وإنما سقت هذا المقال بمباحثه الستة؛ لأبين فيه الكتب العُمد أو المصادر الأساسية للسيرة النبوية، وأن هذه المصادر هي التي ألفت في المراحل الأولى للتدوين، وهي مرحلة تشمل مرحلة البداية والمحدثين ثم المؤرخين ثم مرحلة القرن الخامس، وما عدا ذلك كان من المصادر التي اعتمدت بشكل كبير على هذه المصادر المتقدمة، بل إن بعض هذه المصادر الأساسية قد اعتمدت بدورها على ما سبقها، فمثلاً أثر ابن إسحاق تأثيراً كبيراً جداً في معظم من ألف في السيرة بعده.

التمهيد: اهتمام الصحابة والتابعين بالسيرة النبوية

لقد اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بسيرة النبي ﷺ وحياته واهتموا بنقلها إلى من بعدهم من التابعين الذين نقلوها بدورهم إلى من بعدهم وهكذا.

ولقد كان اهتمام الصحابة بالسيرة ونقلها نابعاً من اهتمامهم بمعرفة كل ما يتعلق بالنبي ﷺ ونقله إلى من بعدهم، ونستطيع أن نوجز اهتمام الصحابة بالسيرة في ثلاثة مظاهر:

المظهر الأول: رواية الأب والأهل للأبناء، ومن أمثلة ذلك:

أ- قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص (134هـ): كان أبي (82هـ) يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا، وسراياه ويقول: يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها⁽¹⁾.

فإن كان محمد بن سعد من التابعين فإنه يغلب على الظن أنه تلقى هذه المغازي عن أبيه سعد بن أبي وقاص، بدليل قوله "هذه مآثر آبائكم"، وقد قدمنا في التمهيد أن الصحابة كانوا حريصين على نقل مشاهدتهم مع النبي ﷺ إلى أبنائهم.

ب- قال علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، زين العابدين (93هـ): كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن⁽²⁾.

المظهر الثاني: سؤال بعض الصحابة من شهد المشاهد والوقائع:

أ- ولعل أوضح مثال على ذلك ما رواه البراء بن عازب قال: اشتري أبوبكر < من عازب رجلاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبوبكر لعازب: مَرِ البراء فليحمل إليّ رحلي. قال عازب: لا حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟ قال: ارتحلنا من مكة ... فقص حديث الهجرة⁽³⁾.

ب- وكذلك الرؤية الميدانية لمواقف الرسول ﷺ وأصحابه. من ذلك ما أخرجه البخاري في التاريخ الأوسط فيمن مات بين الخمسين والستين وساق بإسناد له أن مروان بن الحكم لما كان والياً على المدينة من قبل معاوية أرسل إلى أبي قتادة الأنصاري ليُريه مواقف النبي ﷺ وأصحابه فانطلق معه فأراه⁽⁴⁾.

المظهر الثالث: اشتهاى بعض الصحابة بتتبع أحداث السيرة ثم روايتها بعد ذلك فيما أطلق عليه: الاهتمام التخصصي:

وأوضح مثال على ذلك عبد الله بن عباس: فأما تتبعه لأحداث السيرة فيدل عليه قوله: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن⁽⁵⁾. وأما تحديثه بوقائع السيرة وأحداثها فكان عن طريق تخصيصه يوماً يحدث فيه بالمغازي فقط، وقد خصص يوماً للفقهاء ويوماً للتأويل وهكذا⁽⁶⁾.

وساق الذهبي الخبر بلفظ "ولقد كنا نحضر عنده فيحدثنا العشيّة كلها في المغازي"⁽⁷⁾. ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن ابن عباس كان شاباً وقت جمعه للحديث والسيرة فقد توفي النبي ﷺ وعمر ابن عباس 14 عاماً⁽⁸⁾، مما مكنه من تحصيل أكبر قدر مستطاع من العلم بالفقه والتفسير والحديث والسيرة، كما كان له تلاميذ كثيرون أخذوا عنه علمه، مما أتاح لأحداث السيرة أن تنال حظاً كبيراً من الحفظ والانتشار⁽⁹⁾.

وهذا من الأسباب التي جعلت من بعض التابعين أعلاماً بارزين في السيرة وهذا ما أعرض له بإيجاز فيما يلي:

أعلام التابعين المهتمين بالسيرة:

لقد برز من التابعين من اهتم بالسيرة النبوية منهم:

1- عروة بن الزبير بن العوام (93هـ أو 94هـ).

2- عامر بن شراحيل: الشعبي (103هـ).

3- أبان بن عثمان بن عفان (ما بين 101-105هـ).

4- عاصم بن عمر بن قتادة المدني الأنصاري (120هـ).

5- شرحبيل بن سعد أبو سعد المدني (123هـ).

6- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (124هـ).

7- يزيد بن رومان الأسدي (130هـ).

8- عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (135هـ).

وهؤلاء ثقات إلا شرحبيل بن سعد فإنه صدوق اختلط بآخرة، بل إن بعضهم كان من أعلام التابعين

كعروة والشعبي والزهري. ويلاحظ على اهتمامهم بالسيرة ما يلي:

أ- أن بعضهم كان يُقصد بالسؤال عن أحداث السيرة النبوية كتابة فكان يرد عليها كتابةً، فعل ذلك عروة بن الزبير، فقد كتب إلى عبد الملك بن مروان يجيبه عما سأل عنه ⁽¹⁰⁾، وفعل عروة الأمر نفسه مع ابن أبي هنيذة صاحب الوليد بن عبد الملك ⁽¹¹⁾.

ب- بعضهم شهد له الصحابة بحفظ المغازي والعلم بها، كما شهد عبدالله بن عمر بن الخطاب للشعبي، فقد مرّ به وهو يحدث بالمغازي فقال: كأن هذا كان شاهداً معنا وهو أحفظ لها مني وأعلم ⁽¹²⁾. بل روى أبلغ من هذا فقد كان الصحابة يسألون التابعين المهتمين بالسيرة عن أحداثها، قال ابن إسحاق: وحديثي وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبدالله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي (68هـ): حدثنا يا عبید كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة؟ ⁽¹³⁾.

ج- بعضهم طُلب منه أن يحدث الناس بالمغازي: كما طلب عمر بن عبدالعزيز من عاصم بن عمر بن قتادة أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة، ففعل ⁽¹⁴⁾.

د- تشكل مرويات هؤلاء القسم الأكبر من أحداث السيرة النبوية ووقائعها، وهذا لا يحتاج إلى تدليل، فيكفي نظرة واحدة على مغازي ابن إسحاق لبيان صدق هذا، بل إن مروياتهم للسيرة دونها المحدثون في كتبهم كل حسب شرطه، لأن معظمهم من المحدثين الثقات الأعلام كأمثال عروة بن الزبير والزهري. يقول الذهبي عن عاصم بن عمر: "كان عارفاً بالمغازي يعتمد عليه ابن إسحاق كثيراً" ⁽¹⁵⁾.

هـ- بعضهم جاءت الروايات بأنه ألف كتاباً في السيرة، يُقرأ ويعلم، كما هو الشأن مع أبان بن عثمان بن عفان، فقد ذكر ابن سعد بإسناد فيه الواقدي أن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (مات سنة بضع ومائة)⁽¹⁶⁾، أنه لم يكن عند خط مكتوب من الحديث إلا مغازي رسول الله ﷺ أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمر أولاده بتعلمها⁽¹⁷⁾، كما ذكر الزبير بن بكار بإسناد فيه الواقدي كذلك أن أبان بن عثمان قال لسليمان بن عبد الملك عندما أمره بأن يكتب سيرة الرسول ﷺ ومغازيه، قال له: "هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق فيه"، فأمر سلمان بنسخها⁽¹⁸⁾.

و- ذكر لبعضهم أسبقية التأليف في السيرة، مثل عروة بن الزبير، قال حاجي خليفة: "ويقال أول من صنّف فيها عروة بن الزبير"⁽¹⁹⁾ بل جزم الواقدي بذلك فقال: "هو أول من صنّف في المغازي"⁽²⁰⁾. وكذلك الحال مع الزهري: فقد ذكر له السهيلي في الروض الأنف له كتاب السير وقال: "هي أول سيرة ألفت في الإسلام"⁽²¹⁾.

وأياً كان الأمر فإن هذين العَلَمَين: عروة والزهري قد وضعاً كثيراً من القواعد التي سار عليها من جاء بعدهم من المؤلفين في السيرة، من التأليف بين الأسانيد والجمع بينها لإخراج قصة مكتملة، ومن رواية المراسيل في السيرة، ورواية الأخبار بدون إسناد أحياناً، مع العناية بالترتيب الزمني للأحداث، وتحديد تاريخ الحادثة كلما أمكن ذلك، وإحصاء من شارك في الأحداث المهمة في السيرة كالعقبين وبدر والاستشهاد بآيات القرآن الكريم ورواية الشعر ونحو ذلك. أي إننا نستطيع أن نقول: إن السيرة على يد هذين العلمين قد أصبح لها قواعد معروفة التزم بها من جاء بعدهم ممن ألف في السيرة سواء كانوا من تلاميذهم أو غيرهم⁽²²⁾.

وسوف أتعرض بإيجاز لتطور مراحل تدوين السيرة في المباحث التالية مع التركيز على الخطوط العريضة في ذلك.

المبحث الأول: بداية التدوين في السيرة النبوية

كان من الطبيعي أن يبرز رجال يصنفون في السيرة بعد أن حُدِّدت الخطوط العريضة في التأليف في عصر التابعين وبخاصة ما قام به عروة بن الزبير والزهري، لذا نجد تلميذين من تلاميذ الزهري قد اشتهرا بالتأليف في السيرة، هما موسى بن عقبة (141هـ) ومحمد بن إسحاق بن يسار (151هـ). أما موسى بن عقبة فقال عنه الذهبي: "الإمام الثقة الكبير وكان بصيراً بالمغازي النبوية ألفها في مجلد فكان أول من صنّف في ذلك"⁽²³⁾.

وقد أثني كثير من أهل العلم على مغازيه⁽²⁴⁾ ووصفوها بأنها أصحُّ المغازي، فقد وصفها بذلك مالك بن أنس⁽²⁵⁾، والشافعي⁽²⁶⁾ ويحيى بن معين⁽²⁷⁾ وزكاهما أحمد بن حنبل⁽²⁸⁾.

ولكن مع ذلك هي مختصرة غير موسعة، قال الذهبي: "هي في مجلد ليس بالكبير غالبها صحيح ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتنمّة. وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ أبوبكر البيهقي في تأليفه المسمّى بكتاب دلائل النبوة"⁽²⁹⁾.

ورغم أن مغازي موسى بن عقبة مفقودة إلا أن قسماً كبيراً منها قد حفظ لنا في بطون كتب السيرة والتاريخ، وقد أكثر من الاعتماد عليها ابن سعد في الطبقات وابن عبد البر في الدرر وابن سيد الناس وغيرهم⁽³⁰⁾. ثم يأتي بعد موسى بن عقبة محمد بن إسحاق بن يسار (151هـ) الذي كان بحق علامة فارقة في التأليف في السيرة النبوية، فقد استوى التأليف على عوده وبلغ التصنيف على يديه الذروة، حتى أصبح العمدة لمن جاء بعده. ولا عجب في ذلك فقد اتبع منهجاً فريداً في تدوين السيرة يمكن إيجازه فيما يلي:

أولاً: جمعه للأخبار: لم يكتف ابن إسحاق بجمع أخبار السيرة من أعلامها ومشايخها المهتمين بها فقط بل زاد على ذلك أيضاً بأن أخذ من أهل الصحابة المشاركين في أحداث السيرة ووقعائها⁽³¹⁾. من ذلك قوله: وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر أنها قالت: لقد رجع أبوبكر يومئذٍ وقد صدعوا فرق رأسه، مما جذبوه بلحيته وكان رجلاً كثير الشعر⁽³²⁾.

وكذلك قوله: "فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقاً"⁽³³⁾. كما ساق بعض الأخبار المتعلقة باليهود عن ذرية من قتلوا من اليهود، من ذلك قوله "ذكر لي بعض ولد الزبير [بن باط] أنه كان منّ عليه [أي على ثابت بن قيس] يوم بعث، أخذه فجزّ ناصيته ثم خلّى سبيله"⁽³⁴⁾. والزبير هذا قُتل في قتلى بن قريظة⁽³⁵⁾.

ثانياً: طريقة سوقه لأخبار السيرة:

أ- قد يسوق روايات مختلفة للحدث الواحد من طرق مختلفة كما في إسلام عمر بن الخطاب⁽³⁶⁾.
ب- الاستشهاد بالقرآن الكريم وجعله من مصادر السيرة من ذلك قوله: "وقد كانت لقوم نوح قد عكفوا عليها، فصّ الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23]"⁽³⁷⁾.

ج- اهتمامه بذكر الآيات التي نزلت في أحداث السيرة والتوسع في ذلك حتى إنه يفسر السور التي نزلت في وقائع السيرة تفسيراً إجمالياً. كما هو الحال فيما نزل من الآيات من سورة آل عمران في وفد نصارى نجران⁽³⁸⁾ وما نزل من الآيات من سورة الكهف بسبب سؤال قريش محمداً عن بعض أخبار السابقين وعن الروح⁽³⁹⁾، وغير ذلك من الآيات⁽⁴⁰⁾، حتى إنه ليصح اعتبار سيرة ابن إسحاق من كتب أسباب نزول

القرآن الكريم.

د- تقديمه لكثير من الأحداث بمقدمة هدفها تلخيص الوقائع وإعداد القارئ لما سيقروءه وإعطاء فكرة عامة مركزة عن أحداث السيرة بعيداً عن التفصيلات والاختلافات⁽⁴¹⁾.

هـ- إكثاره من الجمع بين عدة أسانيد للحادثة الواحدة لصوغها في قالب يعطي فكرة واضحة عن الحادثة بداية ونهاية ونتائج⁽⁴²⁾، من ذلك قوله "كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض"⁽⁴³⁾.

و- كما أنه كان يعمد إلى تكوين قصة متسلسلة تعطي فكرة عامة عن الحدث بحيث تسلم كل فقرة إلى أختها في صياغة الحدث. وخير دليل على ذلك حديثه عن الإسراء حينما ساقه عن الحسن البصري ثم قطعه ليذكر مرسل قتادة الذي ذكر موقفاً للبراق مع النبي ﷺ يدل على إكرامه ﷺ وعلو مكانته ثم قال في نهايته: "فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله ﷺ وما دخل فيه من حديث قتادة"⁽⁴⁴⁾. وكذلك ساق حديث أبي سعيد الخدري عن المعراج ثم ساق روايات أخرى عن غيره ثم قال: "ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري"⁽⁴⁵⁾، وفي ذكره جملة السرايا والبعوث ساق خبراً عن غزوة ثم قال: "ثم خبر الغزاة وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبعوث"⁽⁴⁶⁾.

ح- قد يؤخر الإسناد بعد سرده للحادثة والواقعة، وربما كان ذلك حتى لا يقطع تسلسل الأحداث وتربطها كما فعل في سياقه لسرية عبدالله بن جحش فيقول في آخرها: "والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير"⁽⁴⁷⁾.

ط- اهتمامه بالتفاصيل الدقيقة لبعض الأحداث بحيث تشكل صورة كاملة عن الحدث كما حدث عندما وصف طريق هجرة النبي ﷺ⁽⁴⁸⁾، وكذلك وصفه لطريقه ﷺ إلى بدر⁽⁴⁹⁾، وكذلك ذكره لأسماء خيل الفرسان في غزوة ذي قرد⁽⁵⁰⁾.

فضلاً عن اهتمامه بذكر من شارك في الأحداث المهمة في السيرة كالعقبة وبدر وأحد ونحو ذلك.

ي- وقد دفعه هذا الاستقصاء إلى التخلي عن السند في كثير من الأحيان؛ حتى يتمكن من ذكر جميع التفاصيل الممكنة عن الحدث، كما فعل في جمعه أخبار المنافقين واليهود ونصارى وفد نجران في مكان واحد مع تعدد وقائعهم وأحداثهم ونزول القرآن في أحوالهم وأحوال النبي ﷺ معهم، فقد تخلّى في سوقه كثيراً من أخبارهم عن السند، لأنه ربما عاقه عن إعطاء الصورة كاملة مفصلة وربما كان حائلاً بينه وبين الاستيعاب والإحاطة والتسلسل والترابط⁽⁵¹⁾.

ك- استناده في إيراد أحداث السيرة إلى بيان مشرق وقلم سيال وتصوير بارع للأحداث، وقد أشاد بهذا غير واحد ممن ألف في السيرة، منهم الكلاعي في كتابه "الاكتفا في مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء حين علل اعتماده على ابن إسحاق دون الواقدي بقوله⁽⁵²⁾: "رأيت كثيراً ما يجري مع ابن إسحاق، فاستغنيت عنه لفضل فصاحة ابن إسحاق في الإيراد وحسن بيانه الذي لا يعقل معه استحسان المعاد"⁽⁵³⁾.
ل- قسم كتابه في السيرة إلى ثلاثة أقسام: المبتدأ اهتم فيه بذكر ما كان من وقائع وأحداث في الجاهلية وذكر رسول الله قبل النبي محمد ﷺ، ثم البعث وذكر فيه بعث النبي ﷺ وما سبقه من إرهابات بنبوته وحياته ﷺ والمسلمين في مكة مع الاعتناء بالترتيب الزمني. ثم المغازي ذكر فيها الفترة المدنية من السيرة وما وقع فيها من أحداث وأهمها المغازي ورتب ذلك على السنين⁽⁵⁴⁾.

كل هذه المميزات في منهجه جعلت عمله فريداً رائداً يقتدي به من جاء بعده، بحيث أصبح العمدة في باب "فعمدتنا - كما يقول ابن سيد الناس - فيما نوره من ذلك على محمد بن إسحاق إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا"⁽⁵⁵⁾ وقال ابن خلكان: "كل من تكلم في هذا الباب فعليه اعتماده وإليه إسناده"⁽⁵⁶⁾ كما أنه قد ألف بعده في السيرة "قوم آخرون، فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها"⁽⁵⁷⁾، ولذلك أثنى على عمله معاصروه ومن جاء بعدهم. قال ابن خلكان: "قال الزهري من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق، وروى عن الشافعي أنه قال: "من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق"⁽⁵⁸⁾، كل هذا جعل ابن كثير يقول: "محمد بن إسحاق صاحب السيرة التي جمعها فجعلها علماً يهتدى به وفخراً يستجلى به، والناس كلهم عيال عليه في ذلك كما قال الشافعي وغيره من أئمة الإسلام"⁽⁵⁹⁾.

وبعد ابن إسحاق يبرز علم من أعلام المصنفين في السيرة، هو محمد بن عمر الواقدي (207هـ) وقد تميز منهجه في تدوين السيرة: فكان يذهب إلى أولاد الصحابة ومواليهم يسألهم، كما كان يذهب إلى مواقع الأحداث يعاينها. يقول "ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألت: هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينته، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها، وما عملت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينته.. وقال ابن منيع: سمعت هارون الفروي يقول: رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة فقلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حنين حتى أرى الموضع والوقعة"⁽⁶⁰⁾.

كل هذا جعل مؤلفه في السيرة والمغازي يتميز عن غيره من المؤلفات من ناحية الدقة والترتيب والتنظيم في تواريخ المغازي والسرايا والثراء في المعلومات والتفاصيل، والتفرد بمعلومات ليست عند غيره⁽⁶¹⁾، وكثرة

التفاصيل عن مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي في المدينة، إضافة إلى محاولته إبداء نزعتة النقدية في الأخبار والوقائع كالترجيح بين المرويات والأخبار⁽⁶²⁾.

كل هذا جعل مغازيه متفردة متميزة، يدل على ذلك قول ابن كثير: "الواقدي عنده زيادات حسنة وتاريخ محرر غالباً، فإنه من أئمة هذا الشأن وهو صدوق في نفسه مكثراً"⁽⁶³⁾.

وبسبب كثرة جمعه وتساهله الشديد في جمعه هذا انتقد انتقاداً شديداً مع الاعتراف بإمامته في المغازي "فقد جمع - كما يقول الذهبي - فأوعى وخلط الغث بالسمين والخرز بالدر الثمين فاطرحوه لذلك، ومع هذا لا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم"⁽⁶⁴⁾.

وقال عنه ابن تيمية عن علمه بالمغازي: "من أعلم الناس بتفاصيل أمورهم وأخبارهم بأحوالها، وأما الاستشهاد بحديثه والاعتضاد به فمما لا يمكن المنازعة فيه، لا سيما في قصة تامة يخبر فيها باسم القاتل والمقتول وصورة الحال"⁽⁶⁵⁾.

ثم يأتي بعد الواقدي تلميذه وكاتبه: محمد بن سعد بن منيع (230هـ)، ليدون السيرة النبوية في بداية كتابه الطبقات الذي أرسى فيه الاهتمام بالمرويات التي تتعلق بشمائله ﷺ وصفاته الخلقية والخلقية وما تعلق به ﷺ من أدوات يستعملها كخاتمته ونعله وخقه وخدمه وإبله ونحو ذلك مما اهتم به المتوسعون في السيرة كالمقرئزي (845هـ) في "إمتاع الأسماع"، والصالح (942هـ) في "سبل الهدي والرشاد" وغيره، وكذلك اعتنى بذكر علامات النبوة قبل الوحي وبعده مما شكل النواة الأولى لكتب الدلائل بعد ذلك كدلائل أبي نعيم والبيهقي وغيرهما⁽⁶⁶⁾.

المبحث الثاني: مرحلة تدوين المحدثين

إن المحدثين هم الذين اهتموا برواية ما أثر عن النبي ﷺ ليحفظوه ويدونوه، ولما كانت السيرة النبوية جزءاً من الحديث فقد اهتم المحدثون بتدوين السيرة في كتبهم حسب شرط كل محدث ومنهجه في التصنيف، فمنهم من اشترط الصحة ومنهم من لم يشترط، لكن على كل حال فإن السيرة عند المحدثين أصحاب أمهات كتب الحديث غير الصحيحين لم يكن فيها الكثير من الضعيف والمنكر والمراسيل والبلاغات كما هو الحال عند كتاب السيرة والمؤرخين وتفصيل هذا يكون في الباب الثالث حيث المقارنة بين منهج المحدثين ومنهج المؤرخين لكن الذي يهمنا الآن هو استعراض السيرة في كتب الحديث.

فالإمام مالك بن أنس (179هـ) ذكر في الموطأ كتاب صفة النبي⁽⁶⁷⁾ وذكر في كتاب الجامع - وهو آخر كتب الموطأ - بعض الأحاديث المتعلقة بالسيرة مثل باب أصحاب الصفة وباب أصحاب بئر معونة⁽⁶⁸⁾، ولكن الملاحظ أن السيرة في الموطأ قليلة جداً، ولا عجب في ذلك فهو كتاب فقه وآداب في المقام الأول.

ثم يصنف الإمام البخاري: محمد بن إسماعيل (256هـ) الجامع الصحيح واسمه الجامع الصحيح "المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه"⁽⁶⁹⁾. وفيه تأخذ السيرة النبوية حيزاً كبيراً في صحيحه، فهو يستشهد بأحاديث السيرة في كتب الأحكام والآداب والتفسير فضلاً -وهذا هو الأهم- تخصيصه للسيرة كتباً وهي على الترتيب الذي وضعه في صحيحه: كتاب المناقب ثم كتاب فضائل الصحابة ثم كتاب مناقب الأنصار ثم كتاب المغازي الذي ختمه بأبواب وفاة النبي ﷺ، وباب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد. وآخر الأبواب: كم غزا النبي ﷺ⁽⁷⁰⁾.

وواضح مما سبق ثراء السيرة النبوية في صحيح البخاري ثراء لا يوجد في كتب الأحاديث الأخرى فضلاً عن توافر شرط الصحة فيها.

أما صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (261هـ) فالسيرة عنده موجودة في كتبه داخل صحيحه على النحو الذي رتبته: في كتاب الجهاد والسير وكتاب الإمارة وكتاب الفضائل (فضائل النبي ﷺ وفضائل الصحابة)⁽⁷¹⁾، والقسم الأكبر من السيرة فيه في كتابي الفضائل والجهاد.

والملاحظ أن السيرة عند مسلم تقل في حجمها وأحداثها عما هي عليه في صحيح البخاري⁽⁷²⁾، لكن مسلماً يمتاز بأنه يسرد عادة كل الروايات للحديث في موضع واحد، أما البخاري فقد يقطع الحديث في عدة مواضع من صحيحه، مما يحتاج معه إلى التتبع والاستقصاء⁽⁷³⁾.

أما سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ) فإنه قد ذكر بعض أحداث السيرة في كتاب الجهاد⁽⁷⁴⁾. وأما ابن ماجه: محمد بن يزيد (273هـ) فقد ذكر بعض أحداث السيرة عَرَضاً، ويمكن أن نلتمسها في باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ⁽⁷⁵⁾، وفي كتاب الجنائز في بعض أبوابه ونحو هذا من الكتب⁽⁷⁶⁾.

وأما النسائي: أحمد بن شعيب (303هـ) فإننا نجد بعض أحداث السيرة في كتاب الجهاد وكتاب البيعة، وبعض شمائله وصفاته ﷺ في كتاب الزينة⁽⁷⁷⁾.

أما الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (279هـ) فقد ساق قدراً لا بأس به من أحداث السيرة وذلك في كتاب المناقب وهو آخر كتاب في سننه، فضلاً عن بعض الأحاديث في كتابي السير وفضائل الجهاد⁽⁷⁸⁾. وعلى كل حال فإن السيرة في السنن الأربعة لا تشغل حيزاً كبيراً منها، وذلك لطبيعة موضوع هذه السنن فهي في المقام الأول تعنى بأحاديث الأحكام والحلال والحرام، كما أنه يجب لفت الانتباه أنه لا يظن أن المواضع السابق ذكرها من السنن هي التي يمكن تلمس أحداث السيرة فيها فقط، فهناك أيضاً من أحداث

السيرة ما ذكر في أثناء كتب أخرى من هذه السنن، وكذلك من الالاف للنظر أن سنن الترمذي هي أكثر السنن عرضاً لأحداث السيرة⁽⁷⁹⁾.

ثم بعد ذلك سار المحدثون في الاعتناء بالسيرة من زاوية اهتمامهم بالحديث النبوي فلا يكاد يخلو كتاب حديث من ذكر لبعض جوانب السيرة.

ولكن الذي يهمننا الآن أن نذكر كتابين، أولهما: المستدرك للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله (405هـ) فقد ساق في مستدركه هذا جملة كثيرة من أحداث السيرة، فبعد ذكره تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين قال: ذكر أخبار سيد المرسلين ﷺ قال تحتة: "ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله من وقت ولادته إلى وقت وفاته"⁽⁸⁰⁾ ثم أتبعه بكتاب معرفة الصحابة⁽⁸¹⁾.

وثانيهما: السنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن الحسين (458هـ) فقد احتوى على قدر لا بأس به من أحداث السيرة وخاصة في الكتب المتعلقة بالسير وقاتل أهل البغي وقسم الفيء والغنيمة ونحو ذلك من الكتب⁽⁸²⁾. لكن مما هو جدير بالذكر أن البيهقي أفرد السيرة بكتاب جامع شامل هو كتاب دلائل النبوة، وقد نهجاً فريداً سوف أوضحه في مكانه.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن هناك من كتب المحدثين ما يحوي قدراً كبيراً من السيرة، لكن فيها أحداث السيرة متفرقة لا يجمعها مكان واحد كما هو الحال في الصحيحين والسنن، وذلك بسبب المنهج المتبع في تأليفها، من ذلك مسند الإمام أحمد بن حنبل (241هـ)، والمعاجم الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير للطبراني: سليمان بن أحمد (360هـ)، ومسند البزار (292هـ) ومسند أبي يعلى الموصلي (307هـ)، فهي كتب تسوق الأحاديث على المسانيد فتذكر أحاديث كل صحابي في مكان واحد غالباً، أو تسوق الأحاديث حسب أسماء الشيوخ كما في معجمي الطبراني الأوسط والصغير.

وهذه الكتب أعني المسانيد والمعاجم جمع زوائدها على الكتب الستة الحافظ الهيثمي (807هـ) في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ورتبها حسب الموضوعات فأفرد كتاب المغازي والسير وكتاب علامات النبوة، فسَهَّل الاستفادة من هذه الكتب بهذا الترتيب⁽⁸³⁾.

ومن كتب الحديث التي وردت فيها أخبار السيرة متناثرة نظراً للمنهج في تأليفها: صحيح ابن حبان (354هـ)، فقد صنفه على أقسام وجعل تحت الأقسام أنواعاً، مما يجعل البحث فيها صعباً جداً⁽⁸⁴⁾ مما دفع ابن بلبان (739هـ) إلى ترتيبه على الموضوعات، فجمع الأخبار المتعلقة بالسيرة تحت كتاب التاريخ ثم أتبعه بكتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة⁽⁸⁵⁾.

ويمكن القول إن المحدثين قاموا بدور كبير جداً في تدوين السيرة النبوية وتتبع أحداثها ووقائعها لكن في ضوء المنهج العام للمحدثين الذي يشترط في المقام الأول الإسناد واتصاله ما أمكن مع الاهتمام - كل حسب منهجه - بمن يروي هذه السيرة وينقلها⁽⁸⁶⁾.

وجدير بالذكر أن السيرة استمر التدوين فيها من قبل المؤرخين جنباً إلى جنب مع المحدثين مع اختلاف المنطلقات والمناهج، مما أرى أنه من المناسب أن تذكر كلمة موجزة عن تدوين المؤرخين للسيرة النبوية.

المبحث الثالث: مرحلة تدوين المؤرخين المتخصصين للسيرة النبوية

إن السمة الأولى لكتابات المؤرخين ترتيب الأحداث زمنياً على السنوات مع الاهتمام عادة بذكر تاريخ البشر منذ الخليقة إلى عصر كل مؤرخ، فتدخل السيرة النبوية في كتاباتهم من هذا المنطلق، مع اهتمامهم الشديد بها، نظراً لكونها سيرة أفضل خلق الله تعالى وخاتم الرسل: محمد ﷺ.

وقد اهتم المسلمون بالتاريخ وبرز منهم مؤرخون كبار كانت لهم مؤلفات قيمة ومصنفات مفيدة. والذي يهمنا هنا المؤرخون الذين دونوا السيرة النبوية، فمن هؤلاء: خليفة بن خياط (240هـ) - شيخ البخاري - في تاريخه قال عنه الذهبي: "كان صدوقاً نساباً عالماً بالسيرة والأيام والرجال"⁽⁸⁷⁾ والسيرة عنده مختصرة اعتمد في جل أخبارها على ابن إسحاق، فهي أقرب ما يكون إلى الاختصار الشديد المركز لمغازي ابن إسحاق، مع الوضع في الاعتبار أنه يسوقها بإسناده عن ابن إسحاق من طريق وهب بن جرير بن حازم عن أبيه في الأغلب عن ابن إسحاق. وكذلك مع الوضع في الاعتبار أنه يسوق أخباراً أخرى من غير طريق ابن إسحاق. والسيرة عنده أخبار موجزة أقرب ما تكون إلى استعراض العناوين العريضة للسيرة النبوية⁽⁸⁸⁾.

وبعد ذلك يؤلف ابن أبي خيثمة: أحمد بن زهير بن حرب (279هـ) كتابه "التاريخ الكبير" المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، قال عنه الذهبي: "الحافظ الكبير المجود صاحب التاريخ الكبير الكثير الفائدة"⁽⁸⁹⁾.

وقد تناول السيرة النبوية من خلال ذكر مكة والمدينة، فيذكر مكة وما ورد في فضلها من أحاديث ثم يذكر السيرة النبوية خلال الفترة المكية، وكذلك يذكر المدينة وما ورد في فضلها ثم يذكر السيرة في الفترة المدنية، كل ذلك على وجه الاختصار ويسوق ذلك مسنده. ومما يلاحظ أنه استعرض السيرة النبوية مرتبة على السنوات: السنة الأولى والثانية وهكذا، كما يهتم بذكر تواريخ العبادات في الإسلام مثل نزول فريضة الصوم وصوم عاشوراء مع الاهتمام بمن نزل من الصحابة المدن: كمكة والمدينة⁽⁹⁰⁾.

ويؤلف البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر (279هـ) كتابيه "فتوح البلدان" و"أنساب الأشراف" عالج فيهما السيرة النبوية، وقد خصص القسم الأول من كتابه "أنساب الأشراف" وهو تاريخ عام مرتب على النسب خصصه للسيرة النبوية.

ثم يأتي بعد ذلك الطبري: محمد بن جرير (310هـ) فيصنف كتابه "تاريخ الرسل والملوك"، وهو من أهم المؤلفات في التاريخ الإسلامي نظراً لإمامة مؤلفه في العلوم الإسلامية المختلفة من حديث وفقه وتفسير وتاريخ. وقد عالج في كتابه السيرة النبوية وساق أخبارها بإسناده، وكان منهجه في سوق المرويات هو الجمع والاستقصاء ما أمكن ذلك، وهو يلقي التبعة على من نقلها عنه "فما يكن في كتابي هذا - كما يقول في مقدمة كتابه - من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة - فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أديننا على نحو ما أدى لنا" (91).

والطبري كان يلتزم بمنهجه الذي يضعه ويحدده، قال عنه ياقوت الحموي: "وكذلك كان يعمل في كتبه أن يأتي بخطبه على معنى كتابه، فيأتي الكتاب منظوماً على ما تقتضيه الخطبة" (92).

كما أنه كان العمدة لمن جاء بعده من ثقات المؤرخين، كابن الأثير (630هـ) الذي يقول عنه في مقدمة تاريخه: "وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين، إذ هو الإمام المتقن حقاً الجامع علماً وصحة اعتقاداً وصدقاً" (93).

وبعد الطبري يأتي المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (346هـ) ويصنف تاريخه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" ويخصص قسمًا منه للسيرة النبوية ويتبع في تدوينها منهج الحوليات والترتيب على السنوات ويعتمد فيه على ابن إسحاق، وعلى العموم السيرة عنده مختصرة جداً.

ثم يأتي ابن عساکر: أبو القاسم علي بن الحسن (571هـ) فيصنف كتابه الضخم "تاريخ دمشق" ويزينه في أوله بذكر السيرة النبوية، وهي عنده تتعلق في الغالب بصفاته ﷺ ودلائل نبوته ومعجزاته وذريته وكتابه ونحو ذلك (94). وأهمية السيرة عند ابن عساکر تكمن في أنه - على حدّ علمي المتواضع - آخر من روى أحداث السيرة التي ساقها بالإسناد، أما المؤلفات التالية له فإن أغلبها يسوق هذه الأحداث مع الإحالة على المؤلفات السابقة، وإن حدث وساق بعضها بإسناده فإنه يحيل على هذه المؤلفات السابقة أيضاً (95).

ويكفي تدليلاً على ذلك استعراض كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (630هـ)، فقد نص في مقدمته على أنه اعتمد على تاريخ الطبري. كما ذكرت ذلك قريباً.

وكذلك استعراض السيرة النبوية في "نهاية الأرب في فنون الأدب" (96) للنويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ)، فقد ساقها تحت فن التاريخ وقد جعله الفن الخامس، واستغرقت السيرة ج16، ج17، ج18، والسيرة عنده مرتبة ترتيباً تاريخياً مع الاهتمام بإفراد أزواجه ومواليه وأقربائه وخدمه بباب وكذلك شمائله وكذلك معجزاته ثم أفرد وفاته ﷺ بباب وبه ختم السيرة وهو لا يسوق أحداث السيرة بسنده وإنما يعتمد على ابن إسحاق وغيره.

المبحث الرابع: مرحلة القرن الخامس: مرحلة الجمع والاختيار: "البیهقي علامة فارقة"

ظهرت في القرن الخامس، كتب تهتم بالسيرة رأساً، مثل كتاب "شرف المصطفى" لأبي سعد النيسابوري 407هـ، و"دلائل النبوة" لأبي نعيم: أحمد بن عبدالله الأصبهاني (430هـ)، و"جوامع السيرة لابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (456هـ)، و"دلائل النبوة" للبيهقي: أحمد بن الحسين (458هـ)، و"الدرر في اختصار المغازي والسير" لابن عبدالبر: يوسف بن عبدالله بن محمد (463هـ) وغير ذلك من الكتب. والذي يهمنا هنا كتاب دلائل النبوة للبيهقي وذلك لأهميته الكبرى بين مصادر السيرة النبوية، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: مكانة البیهقي العلمية:

فإنه ذو باع طويل وقدم راسخة في أغلب العلوم الإسلامية وبخاصة في الحديث النبوي وعلومه وما يتعلق بذلك من السيرة النبوية. قال الذهبي: "تصانيف البیهقي عظيمة القدر غزيرة الفائدة قل من جود توافقه مثل الإمام أبي بكر" (97).

ثانياً: موضوع الدلائل:

إن موضوع كتاب الدلائل ليس قاصراً على ذكر دلائل نبوته ﷺ فحسب، وإنما هو أيضاً يشمل السيرة النبوية كلها كما هي موجودة عند كتاب السيرة السابقين عليه. يقول الذهبي: "وأما مغازي موسى بن عقبة فهي في مجلد ليس بالكبير سمعناها وغالبها صحيح ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتممة، وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ أبو بكر البیهقي في تأليفه المسمى بكتاب "دلائل النبوة" (98)، ويقول الدكتور عبدالرحمن بن علي السنيدي: "ومما يلاحظ أن كتب الدلائل وأعلام النبوة يقل اهتمامها بالعنصر التاريخي في الغالب سواء ما ألفه المحدثون أو ما ألفه المتكلمون، بينما جاء كتاب "دلائل النبوة" للبيهقي متميزاً بالاهتمام بالتأريخ للأحداث والوقائع" (99).

ثالثاً: منهجه في كتاب الدلائل:

قد بين البیهقي ملامح منهجه في مقدمته، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1- تيقظه لحال ما يروى من أحاديث وتمييزه بينها، حتى يكون المطلع عليها على بينة من أمرها. وإدراكه الكبير لأهمية هذا الأمر وخطورته الشديدة وبيان أثر إهماله وعدم الاعتناء به على السيرة النبوية. يقول في المقدمة: "إن كل حديث أوردته فيه أردفته بما يشير إلى صحته أو تركته مبهماً وهو مقبول في مثل ما أخرجته وما عسى أوردته بإسناد ضعيف أشرت إلى ضعفه وجعلت الاعتماد على غيره، وقد صنف جماعة من المتأخرين في المعجزات وغيرها كتباً وأوردوا فيها أخباراً كثيرة من غير تمييز منهم صحيحها من سقيمها

ولا مشهورها من غريبها ولا مرويهها من موضوعها حتى أنزلها من حسنت نيته في قبول الأخبار منزلة واحدة في القبول، وأنزلها من ساءت عقيدته في قبولها منزلة واحدة في الرد. وعادني في كتي المصنفة في الأصول والفروع الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، ليكون الناظر فيها من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه، ولا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الأخبار مغمزاً فيما اعتمد عليه أهل السنة من الآثار... ومن وقف على تمييزي في كتي بين صحيح الأخبار وسقيمها وساعده التوفيق علم صدقي فيما ذكرته⁽¹⁰⁰⁾.

2- إدراكه ووعيه أن السيرة النبوية تحتل رواية الأحاديث الضعيفة، ومعرفته العميقة أن الكاتب في السيرة لا بد أن يجد نفسه أمام فجوات في السيرة لا يستطيع أن يملأها إلا بذكر الأحاديث الضعيفة بل بالأقوال المرسلة التي ليس لقاتلها إسناد كما هو الحال مع ابن شهاب الزهري وابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهم. ولذلك يحاول البيهقي أن يؤصل لذكر هذه الأحاديث في السيرة فيعدد أنواع الأحاديث المقبولة وغير المقبولة ويجعلها ثلاثة أنواع ثم يقول: "وضرب لا يكون روايه متهماً بالوضع، غير أنه عُرف بسوء الحفظ وكثرة الغلط في رواياته، أو يكون مجهولاً لم يثبت من عدالته وشرائط قبول خبره ما يوجب القبول فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملاً في الأحكام وقد يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي فيما لا يتعلق به حكم"، ثم يسوق بإسناده قول عبد الرحمن بن مهدي (198هـ) "إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الأسانيد وتساهلنا في الرجال وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال" (101). كما ينقل بإسناده قول أحمد بن حنبل في محمد بن إسحاق: "هو رجل نكتب عنه هذه الأحاديث - كأنه يعني المغازي ونحوها - فأما إذا جاءك الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا وقبض الراوي عن أحمد بن حنبل أصابع يده الأربع من كل يد ولم يضم الإبهام"⁽¹⁰²⁾.

كما يقول عن المراسيل بعد تقسيمها إلى نوعين: "والآخر أن يكون الذي أرسله من متأخري التابعين الذي يعرفون بالأخذ عن كل أحد، وظهر لأهل العلم بالحديث ضعف مخارج ما أرسلوه، فهذا النوع من المراسيل لا يقبل في الأحكام ويقبل فيما لا يتعلق به حكم من الدعوات وفضائل الأعمال والمغازي وما أشبهها"⁽¹⁰³⁾.

3- اهتمامه وعنايته بما هو في الصحيحين من أحداث السيرة ويذكر هذه الأحداث كذلك كما روتها كتب السيرة، لكنه قد ينبه إلى أن الاعتماد على الروايات الصحيحة وأن فيها كفاية وغنية، وخاصة إذا كانت هذه الروايات تتعارض مع الروايات الصحيحة أو كونها ضعيفة.

يقول في آخر قصة سواد بن قارب: "وفي الروايات الصحيحة غنية عن هذه الروايات"⁽¹⁰⁴⁾ ويقول عن سحر النبي ﷺ وعزوه الحديث إلى الصحيحين⁽¹⁰⁵⁾ ثم يسوق رواية محمد بن السائب الكلبي وفيها زيادة

ثم قال: "الاعتماد على الحديث الأول" (106).

كما أنه ينبه على الأحاديث الموضوعة مثال ذلك: ما رواه من حديث حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل الغائط دخلت في أثره فلا أرى شيئاً ... فذكرت ذلك له فقال: يا عائشة أما علمت أن أجسادنا نبئت على أرواح أهل الجنة... ثم قال البيهقي: "هذا من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغي ذكره، ففي الأحاديث الصحيحة والمشهورة في معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان" (107).

4- سوقه في أول كتابه ما سوف يذكره فيه من أحداث السيرة: فيبدأ بأبواب في ميلاد رسول الله ﷺ وتاريخه وما يتصل به من الأبواب، ثم جماع أبواب ما ظهر على رسول الله ﷺ حتى بعث نبياً، ثم جماع أبواب المبعث، ثم جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ وسراياه، ثم جماع أبواب دلائل النبوة سوى ما مضى ذكره [وقد أفاض في ذلك] ثم جماع أبواب مرض رسول الله ﷺ ووفاته وما ظهر فيما بين ذلك من آثار النبوة ودلالات الصدق، ثم ما جاء في غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه وختمه بباب تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده (108).

إذن الغرض الأساس من هذا الكتاب هو الاعتناء بذكر دلائل نبوته ﷺ في كل مراحل سيرته ﷺ فإذا كانت هناك دلائل غير مرتبطة بأحداث السيرة خصها بباب مستقل كما هو الحال في جماع أبواب دلائل النبوة (109). وقد أجاد البيهقي في دلائله سواء في ذكره للسيرة أو في ذكره للدلائل وأصبح قدوة لمن جاء بعده وخاصة من توسع في التأليف في السيرة، يقول ابن كثير: "وقد جمع الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله كتاباً شافياً في ذلك [دلائل النبوة] مقتدياً بمن تقدمه في ذلك، كما اقتدى به كثيرون بعده" (110).

وقال عنه ابن كثير كذلك: "جمع أشياء كثيرة نافعة جداً لم يسبق إلى مثلها ولا يدرك فيها من ذلك "السنن الكبير" و"دلائل النبوة" و"البعث والنشور" وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغير التي لا تسامى ولا تدانى" (111). وبناء على ما سبق كله من تميز البيهقي في التأليف في السيرة نقول: إن كتاب دلائل النبوة علامة فارقة في التأليف في السيرة، فيكاد أغلب من ألف في السيرة بعده قد تأثر به، وخاصة تلك المؤلفات الموسوعية في السيرة التي ستظهر في القرن الثامن وما تلاه من قرون.

ومن ناحية أخرى لا يعني تبرز البيهقي في التأليف في السيرة أن ما ظهر من مؤلفات في السيرة في القرن الخامس قليل الأهمية والجدوى، ليس هذا ما أقصد إليه، وإنما أردنا تميز البيهقي في تصنيفه الدلائل، وإلا فإن دلائل النبوة لأبي نعيم ذات أهمية في مجال السيرة فإنه يسوق الأحاديث بإسناده لكنه يسوقها دون تمييز بين صحيح وضعيف بل والضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً (112).

كما أن ابن عبد البر في كتابه "الدرر في اختصار المغازي والسير" يسوق بعض الأخبار بإسناده لكنها قليلة⁽¹¹³⁾، ويمزج بين مرويات المحدثين وكتب السيرة⁽¹¹⁴⁾، ويرجح بين الأخبار ويبدل برأيه⁽¹¹⁵⁾ مع الالتزام بترتيب ابن إسحاق⁽¹¹⁶⁾.

أما جوامع السيرة لابن حزم فهو متأثر فيها بسيرة شيخه ابن عبد البر تأثراً كبيراً جداً⁽¹¹⁷⁾.

بقيت نقطة مهمة وهي: لماذا أطلقت على القرن الخامس مرحلة الجمع والاختيار مع الالتزام بالإسناد في بعض منها؟

إنني قصدت من وراء هذا العنوان أن أبين أن السيرة النبوية قد أصبحت مروياتها مجموعة بين يدي المصنفين، ومن ثم أصبح لديهم القدرة على جمع هذه الأخبار من موضعها مع الاختيار والترجيح بينها في أحيان كثيرة أو قليلة بحسب منهج كل مصنف ومؤهلته العلمية⁽¹¹⁸⁾.

وقد قام البيهقي بهذا الدور خير قيام وعلى أكمل وجه: فقد كانت أمامه مرويات السيرة في الصحيحين والسنن كما كانت أمامه مرويات السيرة في كتب المغازي والسير؛ فجمع بين هذه المرويات جميعاً وميّز بينها صحةً وضعفاً فقدم ما هو في الصحيحين ثم سد الفجوات من كتب السيرة في المواضع التي ليس فيها أحاديث من الصحيحين أو من السنن أو كانت فيها لكن كتب السيرة فيها توسع وتوضيح، مع استلهم ترتيب السيرة كما هو عند ابن إسحاق، مع إضافة أبواب مستخلصة من كتب الحديث كالشمائل والصفات والأزواج والأولاد والدلائل ونحو ذلك.

مع الوضع في الاعتبار أن هذا المنهج أوضح ما يكون عند البيهقي، لذلك كان علامة فارقة في التصنيف في السيرة النبوية.

المبحث الخامس: مرحلة التأليف الموسوعي في السيرة

وأعني بذلك أن الكاتبين في السيرة أصبح بين أيديهم ما ألفه السابقون في السيرة، فأصبحت بين أيديهم الروايات المختلفة والمتنوعة لأحداث السيرة وكل ما يتعلق بها من شمائل ودلائل نبوة وذرية وأحفاد وأزواج وخدم وما استعمله النبي ﷺ من أسلحة وما ركب من حيوانات ونحو ذلك. كل هذا كان بين أيديهم فأتاح لهم أن يتوسعوا في السيرة كل حسب منهجه، بحيث حشد بعضهم جميع المرويات التي وقف عليها في كتابه.

ومن هنا يمكن لنا أن نميز بين منهجين في التأليف الموسوعي في السيرة هما:

الاتجاه الأول: اتجاه التوسع في الجمع والحشد والتصنيف تحت عناوين دالة.

والاتجاه الثاني: اتجاه الجمع مع التنقيح والتمحيص في الأغلب.

ولأبدأ بكلمة موجزة عن الاتجاه الأول:

هذا الاتجاه يمثل خيراً تمثيل ثلاثة كتب هي:

1- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والخفدة والمتاع، للمقريزي: أحمد بن علي (845هـ)⁽¹¹⁹⁾.

2- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد⁽¹²⁰⁾ للصالحى الشامى محمد بن يوسف (942هـ).

3- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لبرهان الحلبي: علي بن إبراهيم بن أحمد (1044هـ).

وما يجمع بين هذه المؤلفات وما يشابهها ما يلي:

أ- كتابة كل ما يتعلق بالنبي ﷺ من الزوجات والأولاد والكتب والإبل والسلاح ونحو ذلك.

ب- وضع ذلك كله تحت عناوين دالة.

ج- مع كتابة السيرة النبوية من المولد إلى الوفاة.

د- مع العناية الشديدة بذكر خصائصه ﷺ ودلائل نبوته وأعلامها.

هـ- مع جمع ما تيسر جمعه فيما سبق سواء أكان صحيحاً أم ضعيفاً وفي بعض الأحيان الواهيات والموضوعات.

ز- مع الاهتمام ببيان الغريب اللغوي.

ح- الرد والترجيح والتوفيق بين الروايات المتعارضة في بعض الأحيان.

ولعل ما يوضح هذا الاتجاه خير توضيح قول الصالحى في مقدمة سيرته: "اقتضيت من أكثر من ثلاثمائة كتاب، وتحريت فيه الصواب ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا رسول الله ﷺ من مبدأ خلقه قبل سيدنا آدم ﷺ وإعلام أمته وشمائله وسيرته وأفعاله وأحواله وتقلباته إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته... ولم أذكر فيه شيئاً من الأحاديث الموضوعات وختمت كل باب بإيضاح ما أشكل فيه وبعض ما اشتمل عليه من النفائس المستجدات مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات والجمع بين الأحاديث التي يظن أنها من المتناقضات"⁽¹²¹⁾.

ولذلك قال عنه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة التحقيق: "يعد أوفى كتاب في السيرة يشتمل على نحو ألف باب"⁽¹²²⁾ وقال عن الصالحى: "ألف هذه السيرة الكبرى والموسوعة العظمى جمع فيها أطراف السيرة من كل جوانبها وألمّ بثبت فوائدها ومنثور مسائلها ومتشعب نواحيها ولم يدع في هذا الشأن أبداً إلا قيدها ولا شاردة إلا ردها إليها وحكى فيها جميع أقوال من قبله"⁽¹²³⁾.

ومن ثم كان اتباع هذا المنهج يجعل هذه المؤلفات تحوي الكثير من الضعيف والمنكر كما يوجد فيها الموضوع. لذا قال السخاوي عن إمتاع الأسماع "فيه الكثير مما ينتقد"⁽¹²⁴⁾.

أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه الجمع مع التنقيح والتمحيص في الأغلب:

ويمثل هذا الاتجاه ثلاثة كتب لثلاثة مؤلفين من ذوي الثقل العلمي الكبير في العلوم الإسلامية، وهي على الترتيب:

1- السيرة النبوية: للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ)⁽¹²⁵⁾.

2- زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم: محمد بن أبي بكر (751هـ).

3- السيرة النبوية: لابن كثير: إسماعيل بن عمر (774هـ)⁽¹²⁶⁾.

وقد جمع بين هؤلاء الثلاثة الأعلام التضلع في علوم الحديث رواية ودراية إسناداً وامتناً والمنهج النقدي الذي يتجاوز مرحلة الجمع إلى مرحلة التمهيص، والحكم وبيان مكان هذه المرويات من القبول وعدمه مع الاعتناء بتقديم المرويات الموجودة في الصحيح على ما عداها.

هذه هي الملامح الإجمالية لهذه المصنفات الثلاثة، لكن هناك -لاشك- اختلافاً في التفاصيل بينها، لعل أبرزه أن ابن القيم في زاد المعاد لا يكتب عن السيرة النبوية كما هو الحال عند صاحبيه، بل اهتم باستعراض جوانب السيرة المتعلقة بما الأحكام الفقهية مثل هديه ﷺ في الصلاة والزكاة والحج والصوم ولباسه ونحو ذلك، فإذا تكلم عن السيرة النبوية ذكر الغزوات والسرايا والوفود مع استنباط الفقه من ذلك، وذلك في الجزء الثالث، بالإضافة إلى ذكر مولده ومبعثه وبعض ما يتعلق به ﷺ.

والخلاصة أن هذه الكتب الثلاثة لا يستغني عنها بحال من الأحوال في نقد مرويات السيرة والحكم عليها، فهي بحق جمعت بين أمرين مهمين جداً: نقلت نصوصاً ومرويات من كتب أصول السيرة هي في حكم المفقودة الآن، والأمر الآخر هو المنهج النقدي الواضح للمرويات وتلك النصوص في الغالب.

إذن هي بحق يمكن أن يطلق عليها أنها من مصادر السيرة ومن مصادر نقد مرويات السيرة⁽¹²⁷⁾.

المبحث السادس: الكتابة في السيرة في العصر الحديث

وبعد هذه المرحلة من التأليف في السيرة لا نكاد نجد كتباً في السيرة ذات تميز واضح أو تصنيف بارز في السيرة. ويظل الوضع هكذا حتى بداية العصر الحديث، ويتلي العالم الإسلامي ببلاء خارجي جديد يزيد بلاءً داخلياً أقدم منه، أعني الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين التي كانت غارقة في سبات عميق وتخلف يكاد يشمل جميع مناحي الحياة والعلوم، ويفيق علماء المسلمين على هذه الصدمة الهائلة وينظرون إلى ما وصل إليه حال المسلمين في عصرهم وحال الدولة الإسلامية الأولى بقيادة النبي ﷺ وأصحابه من بعده والتابعين من بعدهم، فيتألمون أشد التألم ويتحسرون أشد التحسر على أن فرط المسلمون المعاصرون في معاني العزة والكرامة والريادة والسيادة والتقدم، وقد كان أجدادهم هم أصحاب هذه المعاني والسابقين إليها، كما أن علماء المسلمين ينظرون إلى قيم الحضارة التي يحملها معهم المستعمرون إلى بلادهم فتصدمهم

هذه القيم وتلك المثل التي تعلي من شأن المستعمر وتحقر من شأن غيره، ومن ثم تتيح له أن يعامل أهل البلاد المستعمرة بكل أنواع القسوة والذل والهوان إن لم يكن بالتدمير والتخريب والإهلاك والإبادة. وفوق كل هذا فإن محمداً ﷺ وهو صاحب النموذج الفريد في الأخلاق والآداب - لم يسلم من ألسنة معظم المستشرقين الذين درسوا حياته واهتموا بسيرته، فاتهموه باتهامات خطيرة لا يجوز أن يتصف بها رجل من عادة الناس فضلاً عن أن يكون نبياً وخيراً خلق الله.

مما سبق كله جعل التأليف في السيرة في العصر الحديث يأخذ في معظمه منحى جديداً يختلف مما سبق، ويمكن رصد الظواهر التالية في التأليف في السيرة في العصر الحديث:

1- الاختصار على السيرة النبوية فقط دون الالتفات إلى ما يتعلق بها كالموالي والخدم والمتاع ونحو ذلك من الموضوعات التي درج المصنفون القدماء على إلحاقها بآخر السيرة وخاصة الموسوعيين منهم، فضلاً عن عدم الالتفات إلى الأنساب والغريب اللغوي.

2- الاهتمام الشديد والعناية الفائقة بإبراز الجانب الأخلاقي والإنساني في السيرة النبوية، وذلك لأن هذا الجانب يحتاجه العالم المعاصر أشد ما يكون الاحتياج⁽¹²⁸⁾، فضلاً عن إبراز ما كان عليه النبي ﷺ من الخلق العظيم والأدب الرفيع، ليقتدي به أتباعه في جميع نواحي حياتهم حتى يكونوا على المستوى اللائق بأتباع النبي ﷺ.

3- الاهتمام بتفنيد مزاعم المستشرقين وشبهات المتغربين التي وجَّهوها إلى النبي ﷺ إما عن سوء قصد أو سوء فهم أو جهل. وخاصة أن هذه المزاعم والشبهات أصبحت تردد كثيراً فلا تكاد تحبو حتى تعود وتظهر وتطفو على السطح ويُعامل معها من قبل طائفة من أهل الغرب كأنها حقائق مسلم بها.

4- دراسة السيرة النبوية نموذجاً لفقه الحركة الإسلامية في بناء المجتمع وإقامة الدولة في ضوء الواقع المحيط والظروف الملائمة، أعني بذلك دراسة المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في مكة وقت الاستضعاف وفي المدينة وقت التمكن والقوة حتى انتهى كل ذلك إلى إقامة دولة الإسلام حقيقة في أرض الواقع، كما يظهر هذا الجانب واضحاً في فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي وكذلك فقه السيرة لمحمد منير الغضبان.

الخاتمة:

يمكن إيجاز أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يلي:

1- أن السيرة النبوية لقيت عناية كبيرة واهتماماً فائقاً منذ عهد الصحابة، ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين ومن أتى بعدهم، بحيث لم ينقض عهد تابعي التابعين إلا وقد ظهرت مصادر للسيرة النبوية أصبحت العمدة لمن جاء بعدها، كمغازي محمد بن إسحاق.

2- ظهر منهجان مبكران في تدوين السيرة: اتجاه المؤرخين واتجاه المحدثين، وإن كان التمايز بين هذين المنهجين لم يظهر بوضوح في المرحلة الأولى من الاهتمام بالسيرة، فقد كان أعلام المهتمين بالسيرة من كبار المحدثين مثل عروة بن الزبير والزهري، لكن سرعان ما تمايز كل منهج عن الآخر، مع الوضع في الاعتبار أن منهج المؤرخين التزم -بوجه عام- بالإسناد كما هو عند المحدثين، وإن كان هذا الالتزام عندهم يختلف درجته عما هي عليه عند المحدثين.

وهذا هو الذي حفظ للسيرة النبوية -في مجملها- الوثوق بها والتأكد منها وصانها عما أصاب غيرها من السير السابقة من مبالغات وتحريفات وتحويلات واختلاقات وشطحات ونزعات أسطورية.

3- وهذا الالتزام بالإسناد عند المؤرخين جعل بين منهجهم ومنهج المحدثين نقاطاً مشتركة، لكنه لم يمنع من وجود نقاط خلاف بين المنهجين، وقد نشأت هذه الاختلافات؛ نظراً لتباين منطلقاتها ومقصودها وطبيعة المادة العلمية المراد تدوينها وكتابتها.

4- نتج عن التساهل في توثيق مرويات السيرة بعض النتائج الخطيرة: من وجود أحاديث ضعيفة شديدة الضعف بل وموضوعة في كتب السيرة، خاصة تلك الكتب التي تعني بذكر دلائل نبوة النبي ﷺ أو شمائله أو نحو ذلك.

5- لذا قد وضعت ضوابط معينة لمنهج كتابة السيرة النبوية للاستفادة من كلا المنهجين: منهج المحدثين ومنهج المؤرخين، وهذه الضوابط تبين وتوضح كيفية الاستفادة من المرويات الضعيفة الموجودة في كتب السيرة، وذلك بالألّا تخالف الصحيح أو المقبول من المرويات، وتسد فجوة في مراحل السيرة وفتراتها، أو تضيف جديداً أو زيادة علم، فضلاً عن كونها غير شديدة الضعف.

6- من المهم جداً أن يُشكّل "مجمع علماء السيرة النبوية" من أهل العلم والعمل، ويكون مهمته إخراج ثلاثة كتب للسيرة: الأول يتضمن السيرة الصحيحة، والثاني: السيرة النبوية الكاملة التي تضم المرويات المقبولة مع المرويات الضعيفة التي تسد الفجوات في السيرة. والكتاب الثالث: يتضمن جميع مرويات السيرة النبوية مع الحكم عليها صحة وضعفاً.

الهوامش

(¹) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض 1403هـ/1983م، 2/195

(²) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 2/195، وينظر البداية والنهاية 21/5.

(³) أخرجه البخاري 3652، ومسلم 75-2009 كتاب الزهد، وقد أخرجه ابن سعد في الطبقات 365/4 كذلك.

- (⁴) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي قتادة بترتيب حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ص 537.
- (⁵) طبقات ابن سعد 371/2 وقد ساقه بإسناد فيه الواقدي، وروى البيهقي بإسناد أنه ابن عباس كان يختلف إلى الصحابي صرمة بن قيس يتعلم منه أبياتاً قالها في هجرة النبي ﷺ وقدمه المدينة، دلائل النبوة 513/2-514، البداية والنهاية 504/6-506، 514.
- (⁶) طبقات ابن سعد 368/2، وفيه الواقدي. وانظر: أسد الغابة 293/3.
- (⁷) سير أعلام النبلاء 350/3.
- (⁸) سير أعلام النبلاء 332/3.
- (⁹) درج معظم الكاتبيين في اهتمام الصحابة بالسيرة -درجوا أن يذكروا مع ابن عباس علمين آخرين أو أكثر من الصحابة. وهذان العلمان هما عبدالله بن عمرو بن العاص والبراء بن عازب [ينظر مقدمة مغازي عروة بن الزبير للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ص 23-27، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري 53/1]. والحق أن هناك فرقاً كبيراً بين العناية بالسيرة ورواية الحديث النبوي ومن ضمنه السيرة. فقد بحثت في تراجم هذين العلمين عن إشارة لاهتمامهما بالسيرة كما هو الحال مع ابن عباس فلم أجده. نعم كانت لعبدالله بن عمرو الصحيفة الصادقة التي دون فيها ما سمعه من رسول الله ﷺ لكن ليس معنى هذا أنه اهتم قصداً بأحداث السيرة. والتفسير الذي أرتضيه لكثرة مرويات هذين الصحابييين المتعلقة بالسيرة أنهما كانا مهتمين بالحديث النبوي في المقام الأول، أما الاهتمام بالسيرة قصداً واستقلالاً فلا أجد في ذلك نصاً، ولا ضير في هذا على السيرة فإنها كانت تلقى العناية التي يلقيها الحديث النبوي باعتبارها جزءاً منه.
- (¹⁰) مسند أحمد طبعة المكتب الإسلامي، ط مؤسسة الرسالة، 212/6، 25774/42، وتاريخ الطبري (328/2)، (56-54/3).
- (¹¹) سيرة ابن هشام أمر المهاجرات بعد الهدنة، ص 614.
- (¹²) سير أعلام النبلاء 302/4، وتهذيب الكمال 29/4، وتهذيب التهذيب 264/2.
- (¹³) سيرة ابن هشام ص 133 مبعث النبي ﷺ وعلى آله وسلم تسليمًا.
- (¹⁴) تهذيب الكمال 17/4، وتهذيب التهذيب 258/2.
- (¹⁵) السير 241/5.
- (¹⁶) تقريب التهذيب 269/2.
- (¹⁷) طبقات ابن سعد 210/5، وتهذيب الكمال 199/7.
- (¹⁸) الموفقيات 222.
- (¹⁹) كشف الظنون عن أسامي الفنون، مكتبة المثنى، بغداد بدون تاريخ 1747/2.
- (²⁰) البداية والنهاية 476/12، وينظر مقدمة مارسدن جونس لمغازي الواقدي، عالم الكتب، بيروت 21/1، وتاريخ التراث العربي لسركين، وقد جمع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي مرويات عروة في المغازي برواية أبي الأسود يقيم عروة من بطون الكتب دون أن يكون عمله هذا معتمداً على مخطوطة، ج 1/ج 2-70-71.

- (²¹) الروض الأنف 2/205، والإعلان بالتويع للسخاوي 88، وينظر: تاريخ التراث العربي مج 1/2-74-79، ومصادر السيرة وتقومها 87-88. وقد أخرج الدكتور سهيل زكار كتاباً أسماه المغازي النبوية للزهري أخذها من كتاب المصنف لعبد الرزاق. وهو عمل عليه مآخذ كثيرة. أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة ص 10.
- (²²) أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني الهجري ص 13-14، ومقدمة مغازي عروة بن الزبير 65-68، والسيرة النبوية الصحيحة، ص 54-55.
- (²³) السير 6/114.
- (²⁴) ظهر منها أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة جمع ابن قاضي شهبة (789هـ) قدم لها وعلّق عليها مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم، ط 1، 1991م، وعددُ أحاديثها 19 حديثاً وقد ذكر مشهور أن المستشرق الألماني إدوارد سخاو قد نشرها 1904م.
- (²⁵) دلائل النبوة للبيهقي 3/101، والسير 6/117. وقال البيهقي: قال أهل العلم: أصح المغازي.
- (²⁶) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1994م، 234/2.
- (²⁷) السير 6/117.
- (²⁸) تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1/148.
- (²⁹) السير 6/116.
- (³⁰) مقدمة مشهور حسن سلمان للأحاديث المنتخبة من مغازيه، ص 32-33، وتاريخ التراث العربي مج 1/2-84-86، ومصادر السيرة النبوية، ص 88.
- (³¹) سيرة ابن هشام 130، 197، 241، 354.
- (³²) السابق 161. ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه.
- (³³) السابق 267، هجرة عمر وقصة عياش معه.
- (³⁴) السابق 564، تحكيم سعد في أمر بني قريظة.
- (³⁵) الثقات لابن حبان (382-383/7) فقد ذكر تتبع ابن إسحاق غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبه من الغزوات عن أسلافهم، من غير أن يحتج بهم. وينظر كذلك سير أعلام النبلاء 53/7. وقد فعل ذلك شيخه الزهري فقد نقل خبراً عن هرقل لما أرسل إليه رسول الله ﷺ بكتابه يدعو إلى الإسلام، نقله عن أسقف من النصارى. ينظر دلائل النبوة 4/384، والبداية والنهاية 6/473.
- (³⁶) سيرة ابن هشام 194-195، وانظر كذلك 251-252 في ذكره الاختلاف في أول من ضرب على يد الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية.
- (³⁷) سيرة ابن هشام 50، وينظر 14، 26، 31، 36، 51.
- (³⁸) سيرة ابن هشام 335-340.
- (³⁹) سيرة ابن هشام 16-172.
- (⁴⁰) 302-313، 316-323، 392-400، 740-749.
- (⁴¹) 178، 292.

- (42) 457 غزوة أحد، 592 غزوة بني المصطلق، 596 حديث الإفك.
- (43) 722 غزوة تبوك.
- (44) سيرة ابن هشام 225.
- (45) السابق 228.
- (46) السابق 785.
- (47) سيرة ابن هشام 354، وكذلك قال عن شأن امرأة الغفاري في غزوة ذي قردز. والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت، وما قال لها رسول الله ﷺ عن أبي الزبير المكي عن الحسن بن أبي الحسن البصري.
- (48) سيرة ابن هشام 277-278.
- (49) السابق 359.
- (50) السابق 588-589.
- (51) سيرة ابن هشام 292-341، فقد ذكره الأعداء من يهود ص 292-295، ثم ذكر المنافقين بالمدينة من ص 295 إلى ص 302 ثم ذكر ما نزل في اليهود والمنافقين 302-332، ثم ذكر نصارى نجران وما نزل الله فيهم من 332-341 ثم ذكر أخباراً عن المنافقين 341-343.
- (52) الاكتفا 4/1.
- (53) أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة ص 30.
- (54) مقدمة المحققين لسيرة ابن هشام: السقا والأبياري وشلي 10/1، ومقدمة الدكتور سهيل زكار للجزء الذي حققه من مغازي ابن إسحاق، ص 17-18، وتاريخ التراث العربي، مج 1/ج 2/89.
- (55) عيون الأثر 11/1.
- (56) وفيات الأعيان 277/4.
- (57) الكامل (2125/6)، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1404هـ/1984م.
- (58) وفيات الأعيان 276/4، وينظر تاريخ بغداد 219/1، والسير 36/7.
- (59) البداية والنهاية 424/13.
- (60) عيون الأثر 22/1.
- (61) من الروايات التي تفرد بها الواقدي ما رواه عن أم عُمارة الأنصارية يوم أحد ودفاعها عن النبي ﷺ وثناؤه ﷺ عليها. وقد نقل ذلك عنه ابن سعد في الطبقات 412/8، والذهبي في السير 278/2.
- (62) مقدمة مارسدن جونس لتحقيقه المغازي، عالم الكتب، بيروت، 32/1-44، وأعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة، ص 57-62، والسيرة النبوية، د. عصام بن عبدالحسن الحميدان، ص 31-32.
- (63) البداية والنهاية 580/4.
- (64) السير (454-455/9).
- (65) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 1398هـ، ص 97-98.

- (66) تهذيب الخصائص الكبرى للسيوطي، عبدالله التليدي، ص 10، ومقدمة د. إحسان عباس للطبقات الكبرى 15/1.
- (67) ص 553 وهو الكتاب رقم 61.
- (68) ص 608، وكتاب الجامع في الموطأ برقم 72.
- (69) مقدمة ابن الصلاح ص 13.
- (70) هذه الكتب في صحيح البخاري تبدأ من الرقم 61، وتنتهي بالرقم 64.
- (71) هذه الكتب في صحيح مسلم على النحو التالي: كتاب الجهاد برقم 32، وكتاب الإمارة برقم 33، وكتاب الفضائل برقم 43، ثم كتاب فضائل الصحابة برقم 44.
- (72) السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، د. سليمان بن حمد العودة، ص 102.
- (73) من أمثلة ذلك أن البخاري ساق قصة غزوة الحديبية مختصرة في كتاب المغازي (4178، 4179) على حين ساقها كاملة في كتاب الشروط من صحيحه (2731، 2732).
- (74) كتاب الجهاد برقم 9 في سنن أبي داود.
- (75) هذا الباب برقم 11 من أول السنن.
- (76) كتاب الجنائز برقم (6) وقد ذكر في أواخره باب ما جاء في ذكر مرض النبي ﷺ برقم (64) وباب ذكر وفاته ودفنه ﷺ برقم (65).
- (77) هذا خاص بالسنن الصغرى له: كتاب الجهاد فيه برقم (25)، كتاب البيعة برقم (40)، أما كتاب الزينة فبرقم (49)، أما السنن الكبرى فنجد بعض أحداث السيرة في الكتب التالية: كتاب الوفاة (40)، وكتاب المناقب (48) وكتاب الخصائص (49)، وكتاب السير (50)، وكتاب عشرة النساء (51) وكتاب التفسير (54).
- (78) كتاب السير برقم (19)، وكتاب فضائل الجهاد برقم (20)، أما كتاب المناقب فبرقم (46).
- (79) مصادر السيرة النبوية وتقويمها 57-68، واسم سنن الترمذي: الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل هكذا سماها ابن خبير الإشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه ص 117. وينظر هدي الساري إلى أسانيد الشيخ إسماعيل الأنصاري، ص 434.
- (80) المستدرك 599/2، والسيرة في تستغرق من 599/2-60/3، الطبعة الهندية، ط دار المعرفة، 496/3-609.
- (81) المستدرك (4/3-87/61) الطبعة الهندية، والمجلد 4 و(5/118-3) من ط دار المعرفة.
- (82) كتاب قسم الفئ والغنيمة في ج 6/290-372، وكتاب السير أول ج 9، وكتاب قتال أهل البغي في ج 8/142-194.
- (83) والحق أن الهيثمي جمع زوائد كل كتاب من الكتب المذكور في كتاب مستقل رتبته على الموضوعات وساقه بالإسناد ثم جمع هذه الكتب في كتابه مجمع الزوائد وقد حذف فيه الإسناد مع ذكر الحكم على الحديث، وقد وقع كتاب المغازي والسير في ج 6/14-224، ووقع كتاب علامات النبوة في (ج 8/214-ج 9/40) وهناك بحث بعنوان السيرة النبوية عند الهيثمي للدكتور سليمان بن عبدالله السويكت.

وفي العصر الحديث قام الشيخ الساعاتي بترتيب مسند أحمد بن حنبل وسماه: الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني. وقد جاءت فيه السيرة النبوية وقد عنوانها بهذا الاسم جاءت في ج 20- ج 22، وقد شرح الفتح شرحاً موجزاً سماه "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"، وقد ذكر الدكتور عبد الحميد بن علي فقيهي أن ابن عروة: علي بن الحسن الحنبلي (837هـ) قام بترتيب مسند أحمد سماه: "الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري" وقد حقق قسم المغازي منه الدكتور محمد ألبان ولد محفوظ: جمهور العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، عرض تاريخي، ص 11-12.

(84) مقدمة صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 48/1-50.

(85) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ج 14، ج 15، ج 16.

(86) كما أن هناك كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي (975هـ)، فقد ساق الأحاديث المتعلقة بالشمال ص 860-903 من ح 17806-18858، كما ساق الأحاديث المتعلقة بالغزوات من ص 1341-1390 من ح 29867-30337، وكذلك ساق فضائله ﷺ ص 1464-1485 من ح 31761-32226، وكنز العمال اعتنى به إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، ط 2، 2005.

(87) السير 472/11 ط الرسالة، 2/1631-1632، ط بيت الأفكار الدولية.

(88) والكتاب طبع بتحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط 2، 1405هـ/1985م.

(89) السير 492/11 ط الرسالة، 1/782 ط بيت الأفكار الدولية، وينظر تاريخ بغداد (4/384-385).

(90) أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة، دراسة وتحقيق لإسماعيل حسن حسين، دار الوطن، الرياض، ط 1، 1418هـ/1997م، ص 64-68. وقد طبع الكتاب "تاريخ ابن أبي خيثمة" بتحقيق صلاح فتحي هلال، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر، ط 1، 1424هـ/2004م.

(91) تاريخ الطبري 8/1.

(92) معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد رفاعي، ط دار المأمون، مصر، 1936م، 66/1.

(93) الكامل، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1420هـ/1999م، 7/1.

(94) السيرة النبوية من تاريخ دمشق، تحقيق نشاط غزاوي، دار الفكر العربي، وينظر كذلك تهذيب تاريخ دمشق لابن منظور، مج 1، ط 1، 1404هـ/1984م.

(95) السيرة النبوية عند البيهقي مع دراسة مقارنة لأبرز مؤرخي السيرة المعاصرين له في المشرق خلال القرن الخامس الهجري، الدكتور عبدالرحمن بن علي السندي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم (50)، 1426هـ/2005م.

(96) وهي نسخة مصورة من قبل وزارة الثقافة المصرية عن ط دار الكتب المصرية.

(97) السير 168/18، ط الرسالة، 1/771، ط بيت الأفكار الدولية.

(98) السير 116/6، ط الرسالة، (3/3986)، ط بيت الأفكار الدولية.

(99) السيرة النبوية عند البيهقي، 319.

- (100) دلائل النبوة 46/1-47.
- (101) دلائل النبوة (34/1).
- (102) السابق 37/1-38، وقبض الأصابع بهذه الهيئة مشهور في عصرنا، ويدل على الثناء والتزكية القوية.
- (103) دلائل النبوة 40/1.
- (104) 254/2 والحديث أخرجه البخاري مختصراً دون أن يصرح باسم سواد بن قارب، صحيح البخاري 3866.
- (105) وهو من حديث عائشة وهو في صحيح البخاري (3175) وله أطراف كثيرة، وصحيح مسلم (2189).
- (106) دلائل النبوة (248/6).
- (107) السابق 70/6.
- (108) دلائل النبوة 49/1-63.
- (109) الجزء السادس من الدلائل.
- (110) الفصول في اختصار سيرة الرسول، ابن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط1، 1399هـ/1400م، ص 206.
- (111) البداية والنهاية 9/16.
- (112) نقد ابن الجوزي لكتاب حلية الأولياء في كونه يذكر فيه أحاديث كثيرة باطلة وموضوعة. انظر ذلك في مقدمة صفة الصفوة 10/1، وإن كان هذا نقداً خاصاً بكتاب الحلية، إلا أن هذا ينسحب على مصنفات أبي نعيم الأخرى، والمطبوع من الدلائل مختصره، ينظر السيرة النبوية الصحيحة 51/1.
- (113) ص 161، 260 مثلاً.
- (114) كما هو الحال في ذكره لحجة الوداع 259-268.
- (115) 199، 201، 202، 203.
- (116) مقدمته ص 27.
- (117) مقدمة تحقيق د. شوقي ضيف لكتاب الدرر، ص 14-16.
- (118) مقدمة د. شوقي ضيف لتحقيقه الدرر، 14.
- (119) وقد طبع في 16 جزءاً بتحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.
- (120) وقد انتهى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر إلى طبع الجزء الثاني عشر منه، ثم ظهر بعد ذلك كاملاً طبعته دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م.
- (121) سبل الهدى والرشاد (1/1) ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومن الملاحظ أنه يهتم كذلك بذكر سنة النبي ﷺ في العبادات والمعاملات، يتبين ذلك من استعراض الأبواب التي ذكرها في مقدمته كتابه 36/1-41: جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الخوف، جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة العيدين، جماع أبواب سيرته في النكاح والطلاق والإيلاء... الخ.
- (122) مقدمة التحقيق ص (ط).

(123) المقدمة ص (ز).

(124) الإعلان بالتوبيخ ص 30 مع مقدمة روزنتال.

(125) وهي جزء من كتابه تاريخ الإسلام وقد حققها الدكتور بشار عواد معروف في جزأين وجعلهما وتراجم الخلفاء الراشدين من كتاب سير أعلام النبلاء، وذلك اعتماداً على أن الذهبي طلب أن تكتب سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الأربعة من تاريخ الإسلام، وقد صدرت السيرة عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

(126) وهي جزء من كتابه في التاريخ البداية والنهاية تشغل فيه السيرة حيزاً كبيراً، وقد طبع الكتاب عدة طبعات أفضلها طبعة دار هجر، بتحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، وقد أفرد الدكتور مصطفى عبدالواحد هذه السيرة وطبعها مستقلة فجاءت في أربعة أجزاء.

(127) هناك كتاب "عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير" لابن سيد الناس (734)، وهو وإن كان يسوق بعض الأحاديث بإسناده إلا أن الجانب النقدي فيه قليل جداً بالمقارنة بهذه الكتب الثلاثة، كما أنه يعتمد اعتماداً كبيراً جداً على ابن إسحاق كما نص على ذلك في مقدمته، ويعتمد كثيراً كذلك على الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، مما يجعل هذا المصنف لا يكون على المستوى النقدي البارز في هذه المؤلفات الثلاثة، لذا لم أحقه هو وما يشاكله بها.

(128) من الكتب الدالة على ذلك كتاب: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، لمحمد فتح الله كولن وترجمة أورهان محمد علي، ط دار النيل ومؤسسة الرسالة.